# جوستاف فلوبير

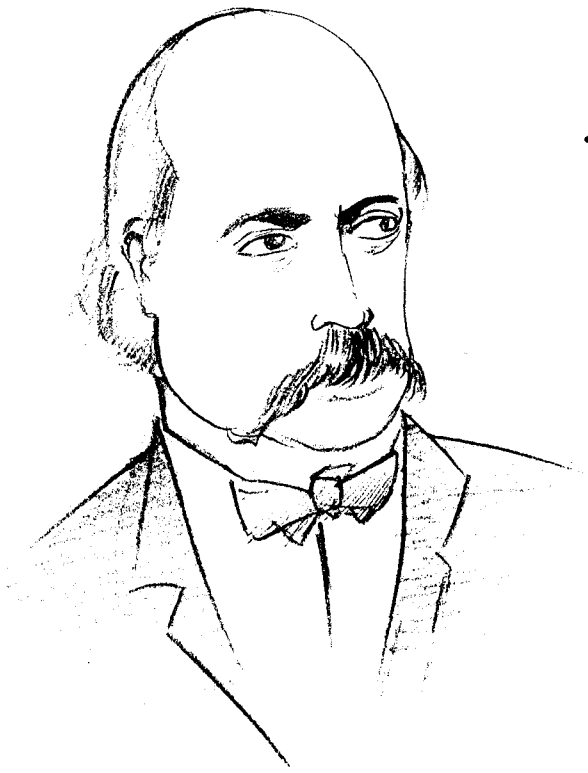

## المرض والحب

ولد فلوبير يوم ١٢ ديسمبر من عام ١٨٢١م فى بلدة روان بنورماندى وهو روائى فرنسى، كان أبوه عميد مستشفى ، والجراح الأول هناك ، وكان جده لأمه طبيبًا من أطباء الريف ، كما كان بعض أفراد الأسرتين لهم باع طويل بالطب والعلاج ، فنشأ فى هذا الجو يعرف المرض، والدواء. قضى فلوبير طفولته يلهو فى حديقة المستشفى ، أو يعيش عند جده فيجول معه فى عربته التى يجرها حصان يمر على مرضاه ، وبالرغم من هذا المناخ الطبى ، لم يهوِ فلوبير الطب ، وحتى عندما سار أخوه أشيل فى هذا الطريق مستفيدًا من خبرة أسرته كان فلوبير قد اهتم بالكتابة والتحرير ، وكانت هذه هى هوايته منذ البداية .

ارتبط فلوبير بثلاث شخصيات فى شبابه كانوا أهم من ساعدوه ليخطو أولى خطواته الأدبية ، وهم ألفريد لوبوا تيفين الذى مات فى الـ ٢٧ ، وكان شخصية أدبية ناضجة والشاعر لويس بوليهية ، ثم مكسيم دو كامب الصحفى المعروف فى القرن التاسع عشر .

درس فلوبير القانون وهو فى التاسعة عشرة من عمره ، درسه مضطرًا ، ليكون حاصلاً على شهادة جامعية ، وكان يرى أن القانون المدنى دراسة لا معنى لها ، ولهذا كان كثيرًا ما يترك دروسه وكتبه ويذهب إلى المسارح وأكسبته هذه الجولات فى المسارح والاحتكاك بالناس مادة خصبة يسجلها فى قصصه وأدبه ، ولم يهتم فلوبير فى تلك المرحلة بالمرأة على الرغم من وسامته وجاذبيته.

يقول مكسيم دوكامب واصفًا فلوبير لقد كان رائع الجمال ، أبيض البشرة ، عريض الكتفين ، يتدلى شعره الجميل إلى كتفيه ، وكانت عيناه زرقاوين كلون البحر ، تحت رموش سوداء طويلة ، لقد كان كواحد من الزعماء الذين حاربوا جيوش الرومان.

ولكن فلوبير عرف الحب مبكرًا وهو فى سن المراهقة ، فعندما كان فى الخامسة عشرة كانت أسرته تقضى الصيف فى تروفيل ، وتعرفت أسرته على أسرة شلز نجر وكان يجلس جوستاف محدقا بإليسا دون أن يحاول محادثتها، أو الاقتراب منها ، ثم يجرى إلى منزله واضعًا يديه على عينيه حتى لا يضيع الصورة الجميلة التى رآها منذ لحظات لأليسا شلز نجر ، كانت إليسا فى السادسة والعشرين من عمرها .

وبعد ستة أعوام ذهب جوستاف إلى باريس وهو يدرس القانون وقام بزيارة إلى شلز نجر ، ولكن كان كلما ذهب بقى صامتًا ، ويعقد الحياء

لسانه وكانت شلز تشعر بالحب الذى يملأ قلبه دون أن تخطو خطوة واحدة لتقابله فى منتصف الطريق.

وعاش فلوبير وقلبه خال ، وفجأة بدأت تنتابه نوبات عصبية من الصرع، وعاد فلوبير للإقامة مع أسرته، حتى يكون فى رعاية أمه وتحت إشراف أبيه للعلاج ، وكان علاجًا قاسيًا شاقًا حتى أن فلوبير لم يعرف أيهما أيسر المرض نفسه أو الحياة التى يعيشها خائفًا .

وكان أبوه قد جمع ثروة جعلته يشترى منزلاً فى قرية كروازيه على نهر الصين فى جنوب روان حيث عاشت الأسرة كلها وعاش هناك فلوبير حياة هادئة ، ولكنه لم يهنأ بالهدوء، ففى يناير عام ١٨٤٦م وبعد عام واحد من الاستقرار فى القرية الجميلة مات أبوه بالسرطان وبعد ثلاثة أشهر ماتت أخته كارولين التى تصغره بثلاثة أعوام ، وهى تلد طفلة جميلة.

وكانت هذه الظروف التى تحيط بفلوبير ظروفا صعبة ، وكان يشعر أنه بحاجة إلى قلب يسانده ويعينه على هذه الظروف القاسية .

وفى مرسم صديقه براديير بباريس وجد فلوبير ضالته ، قابل هناك لويز كولت وهى امرأة فى الثلاثين من عمرها ، وكان فلوبير وقتها فى الرابعة والعشرين وكانت لويز امرأة مثقفة ، تنظم الشعر ، وكانت أيضًا قد حصلت على جائزة الأكاديمية للشعر أكثر من مرة .

تبادل جوستاف ولويز الرسائل ، وكانت لويز تغمره بالهدايا التذكارية فمرة ترسل له خصلات من شعرها أو صورة لها.

وفى هذا الوقت كتب فلوبير " التعليم العاطفى " و " تجربة القديس أنطونى" وكان للويز الجزء الأكبر مما جاء عن الحب فى كتابات فلوبير فقد كانت صورتها لا تفارق خياله ، وهو يكتب روائعه الأدبية.

ضاق فلوبير بإقامته فى القرية ، وكان قد مل من كثرة رحلاته إلى باريس، ففكر فى رحلة يقوم بها مع صديقه مكسيم دىكامب إلى الشرق ووافقت أسرته وشجعته لعل هذه الرحلة تنفعه صحيًا وبدأ رحلته فى أكتوبر عام ١٨٤٩م واستمرت ثلاثة أعوام زار فيها الإسكندرية ، وسار على ضفاف النيل ، وزار سوريا ، وكان يستقر فى كل مكان يذهب إليه حتى يصاب بالملل ، فينتقل إلى مكان آخر.

وطوال هذه الرحلة كانت رسائل أمه تطارده ، فلما أحس بالحنين إلى قريته عاد إلى نورماندى ، ولكنه بقى يحلم بالشرق والنيل الساحر، وكان فلوبير قد بلغ الثلاثين من عمره ، ولكنه لم يعد الشاب الجميل الذى سرق قلب لويز وضاقت لويز ببقاء فلوبير فى قريته وعدم مجيئه إلى باريس ، فحضرت هى إليه فى قريته ولكنها عادت لباريس خائبة الأمل ومع هذا عاد فلوبير يكتب لها من جديد بعد فترة .

كانت لويز تقول : إن حب فلوبير يملأ قلبها وكان فلوبير يقول : إنه لا يستطيع أن ينكر تأثيرها فيما يكتب ، ولكنه لم يعد يحبها كما كان يفعل من قبل.

وفى هذه الفترة من حياته كتب رائعته الخالدة " مدام بوفارى " وقد كتبها بتوجيه من صديقه مكسيم دى كامب ، وجد فلوبير فكرة القصة فى حياة الدكتور ديلونای أحد أصدقاء أبيه الذين درسوا الطب ، وكان ديلونای طبيبًا ناجحًا ، وقد شغله عمله عن أسرته ، وذات يوم عرف أن زوجته تخونه ، وعندما لم يستطع تقويمها انتحر.

وبالرغم من أن جوستاف فلوبير استخدم مادة القصة الحقيقية، إلا أن تأثير لويز كان واضحًا فى تصويره لمدام ديلونای .

ذاع صيت فلوبير فى الأوساط الأدبيـة بعـد مـدام ديلونـاى وفتحـت لـه باريس أبوابها ، ولكن لم تكن الحياة فى باريس تستهويه ، ولذلك عاد إلى قريته ليكتب مزيدًا من روايتـه ، وبـدأ يكتـب روايتـه " مـالامبو " ١٨٦٢م التى من أجلها زار شمال إفريقيا ليتجول فى الأطلال ويذوق طعم التاريخ ، وقرأ عشرات الكتب من تاريخ هملكار والد هانيبال العظيم .

ووقتها طبع أيضًا كتابه " التعليم العاطفى " الذى وضح فيه تأثره بأليسا ولويز ويقول النقاد : إن هذا الكتاب تحليل دقيق للمجتمـع الباريسـى فـى الطبقتين الوسطى والأرستقراطية.

كانت فرنسا فى ذلك الوقت قـد خرجـت مدمّـرة مـن الحـرب ، وكـان الاضطراب الاجتماعى يعصف بكل ركن فيها ، ولكن " فلوبير " لم يسجل شيئًا من هذا بالرغم من أن ذكريات رحلاته وقصصه الطويلة عندما طبعـت ظهرت فى تسع مجلدات كبيرة.

وعاش فلوبير من أجل قصصه وكتبه ، عرف الحب وتأثر به فى كتاباته ولكن عاد المرض يهاجم فلوبير من جديد حتى جاء يوم الثامن من مايو عام ١٨٨٠م عندما جاءته خادمته بالطعام فوجدته ملقى إلى جوار مقعده ، وبعد ساعة واحدة لفظ أنفاسه الأخيرة وهو مازال ممسكًا بقلمه يحاول أن يكتـب رسالة لحبيبته لويز كوليت .

# المراجع

- عظماء من العالم.
- أم كلثوم " الحب والأصدقاء " ، حنفى المحلاوى.
- طه حسين بين الشك واليقين ، كامل محمد عويضة .
- الأيام ، طه حسين .
- عشاق لم ينصفهم التاريخ ، محمد السيد محمد.
- من أعلام الفكر والأدب ، أنور الجندى.
- مشاهير ، جمال الكاشف.
- عباقرة ومجانين ، رجاء النقاش.
- أمير شعراء ألمانيا ، بديع حقى.

- **The World's Greatest Lovers.**
- **Famous Lover.**
- **The Creative World of Beethoven .**
- **Histiore De Mavie .**
- **Chopain .**